UNIVERSITY OF MALAYA

PROCEEDING ARABIC

المؤتمر الدولي الثاني
للتاريخ والحضارة الإسلامية 2019

11- 12 ديسمبر 2019

أكاديمية الدراسات الإسلامية

جـــــامعة ملايـــــــا

المحررون

الدكتور أحمد فيصل عبد الحميد

الدكتور مقلاتي عاشور

الدكتور محمد رسلان محمد نور

First published 2019

ISBN: 978-967-5534-88-1

Title: المؤتمر الدولي الثاني للتاريخ والحضارة الإسلامية 2019

Published by:
Department of Islamic History and Civilization, Academy of Islamic Studies,
University of Malaya, Kuala Lumpur, Malaysia. Tel: +603 7967 6014. Email:
api_sejarah@um.edu.my.

Editors:
Faisal @ Ahmad Faisal Abdul Hamid, Meguellati Achour & Mohd Roslan Mohd Nor

Assistant Editor: Muhammad Khalis Ibrahim

Cover Design: Mohamed Afiq Afandi Mohamed Azahari

Copyright © 2019 Department of Islamic History and Civilization

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, distributed, or transmitted in any form or by any means, including photocopying, recording, or other electronic or mechanical methods, without the prior written permission of the publisher, except in the case of brief quotations embodied in critical reviews and certain other noncommercial uses permitted by copyright law. For permission requests, write to the publisher at the address above.

نظم المؤتمر
قسم التاريخ الإسلامي والحضارة
أكاديمية الدراسات الإسلامية
جـــــــامعة مـــــــلايا

فهرس المحتويات

الصفحة

ر العلوم العقلية في الحياة الأندلسية (316-422هـ)..... 15-1

ج مراجع فرج بن موسى، وهيبة بنت طاهر، إبراهيم بن هاشم

مراكز الثقافية في ليبيا إبان الفتح الإسلامي..... 30-17

عاد محمد ميلاد عبدالقادر، د. أحمد فيصل بن عبدالحميد، د. محمد رسلان بن محمد نور

صنيف العلوم فى الحضارة الاسلامية بالتاكيد على دور الايرانيين (الفرس)..... 45-31

ضان محمدى، محمد باقر خزائيلى

نُظُم الماليَة والاقتصاديَة المُتّبعة في الدولة الفاطمية: ليبيا أنموذجاً (297-443هـ /909-105م)..... 70-47

ضان محمد رمضان الأحمر

قومية وحكمها في الشريعة الإسلامية..... 99-71

. عبدالله أبوبكر أحمد النيجيري

أقليات المسلمة في فرنسا وظاهرة الاسلاموفوبيا والعنف في الحياة اليومية للافراد العاملين.... 113-101

. جمعة بن زروال، حكيمة مرازقة، د. مقلاتي عاشور

شارة المسيح بنبي الإسلام محمد في إنجيل بَارْنَابَا..... 144-115

. عبد الحميد إبراهيم سلطان

عادات الصينية في الأعياد الحكومية وموقف الاسلام منها..... 168-145

WANG JIN الصينية

اهج المؤرخين والمحدثين ودورها في الحفاظ على هوية الأمة،،السيرة النبوية مثالاً..... 180-169

دكتور صالح محمد زكي محمود اللهيبي

ركة الإسلام تجديد وإصلاح..... 205-181

د. إبراهيم عبد الله سلطان

قومية نشأتها وتطورها عبر التاريخ الإسلامي والغربي..... 216-207

ع محمد عبد الله، إبراهيم طاهر إدريس، نور أبوبكر غودبي، محمد أحمد

راسة حالة الأوقاف في الحضارة المالديفية الإسلامية من منظور فقهي..... 248-217

د الله فاروق ابراهيم

المقدمة:

استطاع الفاطميّون إقامة دولة لهم في المغرب الأدنى (ولاية إفريقية) منذ أواخر القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وذلك بعد صراع حربي طويل مع الأغالبة (184-296هـ/800-908م)، حُكّام المنطقة ونجاحهم في إسقاط دولتهم والسيطرة على مدنهم والاستيلاء على عاصمتهم الخاصة مدينة رَقّادة[1] وعاصمتهم الرسمية مدينة القيروان سنة 296هـ/908م[2]. فانتهى بذلك حكم الأغالبة نهائياً عن ولاية إفريقية وابتدأت حقبة جديدة في تاريخ المنطقة عنوانها الهيمنة الفاطمية. وبطبيعة الحال بعد سقوط ولاية إفريقية في أيدي الفاطميين أصبح إقليم طرابلس من دولة ليبيا ضمنياً من أملاكهم باعتباره جزءًا من إفريقية، فدخل رسمياً تحت الحكم الفاطمي بتولي أول ولاة الفاطميين عليه من قِبَل الخليفة الفاطمي الأول عبيد الله المهدي (297-322هـ/909-933م) سنة 297هـ/909م[3]. ولم يلبث الفاطميّون أن ضَمّوا إلى دولتهم باقي الرّقعة الجغرافية للأراضي الليبية المتمثلة في إقليم برقة الذي كان ضمن الحدود السياسية لمصر، أي تابع للخلافة العباسية[4]. فَتَمَكّنوا من الاستيلاء عليه بعد أن سقطت مُدُنه الكبيرة سرت[5] وأجدابية[6] وبرقة[7] تِبَاعاً في أيديهم سنة 301هـ/913م[8].

---

[1] رَقّادة: بلدة كانت بإفريقية. بناها إبراهيم بن أحمد بن الأغلب (261-289هـ/874-901م) سنة 263هـ/876م، ولما أتمها انتقل إليها من مدينة القصر القديم. وكانت تتميز بالبساتين، ولم يكن بإفريقية أطيب هواءً ولا أعدل نسيماً وأرقّ تربةً منها. = ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله: معجم البلدان، بيروت، دار صادر، 1977م، مج55/3.

[2] القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيّون: كتاب افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ط2، 1986م، ص 135-136 ،165-185، 199-266.

[3] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأعظم، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م، 47/4. ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد: البيان الْمُغْرِب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، ط3، 1983م، 168/1.

[4] عماد الدين، إدريس: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار وفنون الآثار في ذكر النبي المصطفى ووصيّه الكرّار وآلهما الأطهار"، تحقيق محمد اليعلاوي بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1985م، ص192-193. كذلك عبد الحميد، سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1990م، 76/2.

[5] سُرت: مدينة قديمة أنشأها البربر في عصورهم الأولى قبل الإسلام، وهي من إقليم طرابلس الغرب تقع على البحر مباشرةً، فتحها المسلمون سنة 22هـ/642م، بدون مقاومة من أهلها أو صلح مع العرب = الزّاوي، الطّاهر أحمد: معجم البلدان الليبية، طرابلس، مكتبة النور، ط1، 1968م، ص188.

[6] أجدابية: مدينة قديمة مشهورة من إقليم برقة، تبعد عن مدينة بنغازي إلى الجنوب بحوالي 160كم، وشرقي مدينة سرت بنحو 415كم = الطّاهر أحمد الزّاوي: البلدان الليبية، مرجع سابق، ص177.

[7] برقة: هي عاصمة إقليم برقة وأهم مُدُنه في العصر الإسلامي ومنه اسْتَمدّ اسمه، ولم يلبث أنْ غَيّر العرب اسمها إلى "المرج"؛ لاتّساع أرضها وخصوبة تربتها وكثرة مرعاها، وهي إلى اليوم تُعْرَفُ بهذا الاسم. وتقع في الشمال الشرقي من مدينة بنغازي بنحو 100كم = الطّاهر أحمد الزّاوي: البلدان الليبية، مرجع سابق، ص309.

[8] ابن عذاري: البيان المغرب، مصدر سابق، 170/1.

قد مَرّت الحياة السياسية في ليبيا خلال العصر الفاطمي بطورين اثنين، الأول منهما اتّسم بالحكم الفاطمي باشر عليها زمن وجودهم في بلاد المغرب الإسلامي منذ سنة 297هـ/909م، وفيه كان الخلفاء الفاطميون اشرون حكم البلاد بأنفسهم، فَيُعَيّنون الولاة من قِبَل أنفسهم، ويتتبعون أحوالها، ويتدخلون بسرعة لضبط ورها متى خرجت عن السيطرة. أما الثاني فقد ابتدأ بعد هجرتهم من المغرب إلى مصر والاستقرار فيها منذ سنة 36هـ/972م، وفيه كَلّف الفاطميّون أمر بلاد المغرب عامة بما فيها ليبيا لولاتهم من بَني زيري الصنهاجيين، ذين أصبح لهم الحق في اتخاذ ما يلزم من إجراءات دون الحاجة للرجوع إلى الخلافة في مصر، مع احتفاظ فاطميين بالملكية الاسمية والشرعية للبلاد. وإن كان قد نازعت بَني زيري في حكم ليبيا قوتان متمردتان هما قبيلة ني خزرون الزّناتيين[9] في إقليم طرابلس، وقبيلة بَني قرّة[10] في إقليم برقة[11].

وقد شَهِدَ المجتمع الليبي خلال العصر الفاطمي زخماً اقتصادياً ولا سِيّما في الفترة الأولى منه، التي عاينت استقراراً سياسياً أَدّى بطبيعة الحال إلى ازدهارٍ اقتصاديٍّ، ففيها اهتم الفاطميون بشؤون البلاد العمرانية، والتي من أهمها أمين الطّرق وإصلاحها، وخاصّةً الطريق السّاحلي الرابط ما بين إفريقية ومصر، فأنشأوا به المساجد والاستراحات القصور، وحفروا آبار المياه على طول امتداده[12]، مما زاد من كثرة المزارع والبساتين على أرض ليبيا، فزاد بذلك

يرجع نسبهم إلى قبيلة زناتة البربرية التي كانت تُوَالي الأُمَويين بالأندلس، ولم يلبثوا أن دخلوا في طاعة بني زيري الصنهاجيين وُلَاة الفاطميين عن غرب. بعد ذلك انشق بني خزرون عنهم ودارت بينهم حروب انتهت بافتكاك بني خزرون لطرابلس الغرب، حيث أَسّسوا فيها إمارة تَقَلّبت حياتها بين زر ومَدٍّ بسبب النزاع مع صنهاجة حتى كانت نهايتها سنة 540هـ/1145م، وأثناءها كانوا يدخلون تحت طاعة الخليفة الفاطمي بمصر وأحيانٌ أخرى ستقلون عنه، وللمزيد عنهم ينظر: عبّاس، إحسان: تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتّى مطلع القرن التاسع الهجري، بنغازي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، 1، 1967م، ص128-137.

بنو قُرّة، قبيلة عربية، وهم بطن من بطون هلال بن عامر بن صعصعة، من العدنانية = (كَحّالة، عمر رضا: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، روت، مؤسسة الرسالة، ط8، 1997م، 944/3). وقد تمردت هذه القبيلة عن الحكم الفاطمي ببرقة بسبب سوء معاملة الخليفة الحاكم بأمر الله 386-411هـ/996-1020م) لها وقتل بعض شيوخهم، لذلك احتضنوا ثورة كبيرة ضد الفاطميين استمرت سنتين من الزمان (395-397هـ/1004-100م)، وكانوا عِدّتها وقوامها تحت قيادة شخص يُدْعَى أبي ركوة، استطاعت هذه الثورة القضاء على الحكم الفاطمي في برقة والامتداد وزعزعته في صر، وللمزيد عن بَني قرة وانضمامهم لثورة أبي ركوة ينظر:

Alahmar, Ramdan M Ramdan and Ahmed Faisal bin Abdul Hamid: *"The Revolution of Abu Rakwah Agains the Fatimids In Barca And His Attempt to Overthrow Their Rule in Egypt"*, JOURNAL AL- =MUQADDIMAH, Department of Islamic History and Civilisation in Malaya University, Volume 5, Issue 1 June, 2017,pp 20-38.

الأحمر، رمضان محمد رمضان: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليمي طرابلس الغرب وبرقة خلال العصر الفاطمي (297-443هـ)، رسالة دكتوراه ير منشورة، كوالا لمبور، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا، 2019م، ص48-66، 71-96، 112-118.

النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق نجيب مصطفى فوّاز وحكمت كشلي فوّاز، بيروت، دار الكتب علمية، ط1، 2004م، 28/75-76. كذلك

Alahmar, Ramdan M Ramdan and Ahmed Faisal bin Abdul Hamid: *"Qiam Aldawlat Alfatimiat fi Bilada Almaghrib Al'iislamii Wamisr (Shmali 'Afriqia) Mundh Sanat 297 AH/909AM 'iilaa Sanat 358AH/969AM* JOURNAL AL-MUQADDIMAH, Department of Islamic History and Civilisation in Malaya University Volume 4, 2015, December, 2015,p72.

كثرة الإنتاج وتَنوّعه، الذي أَدّي بدوره إلى زيادة التبادل التجاري بين مدن البلاد المختلفة، أو بينها وبين غيرها من مدن البلدان والأقاليم المجاورة، سواء عن طريق البَرّ أو عن طريق البحر، ولا سيّما أنّ الفاطميين كانوا قد اهتموا بموانئ ليبيا الْمُطِلّةِ على الولايات والبلدان الأوروبية[13]، وكل تلك المعطيات أَدّت في نهاية الأمر إلى انتعاش حياة السّكّان الاقتصادية في مجتمع البلاد. وإنّ هذا النشاط الاقتصادي الذي عَمّ أَرْضَ ليبيا وغيرها من بلدان وأقاليم المغرب الإسلامي الخاضعة للفاطميين في ذلك الوقت، كان جزءٌ من سياسة عامّة انتهجها الفاطميّون للنُمُوّ باقتصاداتها، الذي يرمون به لزيادة الإيرادات الماليّة الداخلة على دولتهم من خَرَاج المزروعات، والضّرائب المفروضة على الصّنائع، وعلى الطُّرُق التّجارية، وعلى السِّلَع المتبادلة، وغيرها من وسائل التحصيل المالي والْعَيْني. وبطبيعة الحال أنّ كل ذلك كان يحتاج إلى سياسة اقتصادية لتسييره، ونُظُم مالية لاستيعابه وتنظيمه، وإلى رسوم سَنّتْهَا الحكومة الفاطمية لحصر الأموال والاستفادة منها وتوظيفها في تطلعاتها المستقبلية، وهذا ما سيكون محور حديثنا فيما يلي.

أولاً: وسائل التّعامل التّجاري:

1- النُّقُود:

كانت النّقود ولا زالت هي أساس التّعامل التّجاري في البيع والشّراء في الكثير من الدول سواء في العصور القديمة أو الوسطى أو الحديثة والمعاصرة. وفي ليبيا خلال العصر الفاطمي كانت النّقود المستعملة بطبيعة الحال هي نقود الدولة الفاطمية، وكان ابتداؤها بالنقود التي سَكّها الخليفة الفاطمي الأول عُبَيْدِ الله المهدي بمجرد إطاحته لِمُلْكِ بَني الأغلب سنة 297هـ/909م، وفيها ما يَنصّ على أنها سُبِكَت بالقيروان، ولما اسْتقرّ هو وأفراد أسرته بالْمَهْدِيّة[14] مقر الخلافة الجديد صارت دنانيره ودراهمه تُسْبَك بها وأحياناً بالقيروان، ومن غريب ما يلاحظ في

---

[13] فعبر ميناء مدينة طرابلس في عصر الخليفة المعز لدين الله (341-365هـ/952-972م)، كانت تُرْسل الإمدادات إلى جزيرة صقلية، حيث يَمُدُّنا صاحب سيرة الأستاذ جوذر بمعلومات مهمة عمّا كان يقوم به الطّرابلسيّون من أصحاب مراكب الشّحن التّجارية من نقل ما يأتي إليهم من شعير إلى صِقِلِّيَّةِ معونة للغزاة هناك = (الجوذري، أبو علي منصور العزيزي: سيرة الأستاذ جُوذَر "وبه توقيعات الأئمة الفاطميين"، تحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت، ص87-88). كذلك برقة في زمن المعز أيضاً كانت موانئها مكاناً لتمركز الأسطول الفاطمي الْمُجَهّز والْمُسْتعد لمجابهة هجمات البيزنطيين ضد مسلمي جزيرة قريطش (كريت) = القاضي النعمان: أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيّون: كتاب المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقي وإبراهيم شَبُّوح ومحمد اليعلاوي، بيروت، دار المنتظر، ط1، 1996م، ص445-446.

[14] الْمَهْدِيّة: احتطها الخليفة المهدي وإليه تُنسب، قيل شرع في بنائها سنة 303هـ/915م، وأكمل سورها سنة 305هـ/917م، وانتقل إليها سنة 308هـ/920م، وهي جزيرة على ساحل البحر المتوسط، متصلة بالبر كهياة كف متصلة بزند، عليها سور عالٍ محكم كأفضل ما يكون، وأبواب من

شأن تلك النقود أنّ اسمه يأتي بها دائماً بصيغة (عبد الله)، ولم يُعْثَر على أَيّ واحدٍ منها يحمل اسم (عبيد الله) بصيغة التصغير كما هو مُشْتَهر به[15].

ومهما يكن من الأمر، كان كُلّما يَتولّى خليفة من الفاطميين بعد المهدي يقوم بِسَكّ النقود باسمه دلالة على عصره وفترة حكمه، منها النقود التي سَكّها الخليفة القائم بأمر الله (322-334هـ/933-945م) في المهدية، وكذلك نقود الخليفة المنصور بنصر الله (334-341هـ/954-952م)، التي سَكّ بعضها في المهدية والقيروان وبعضها الآخر في الْمَنْصوريّة[16] العاصمة الجديدة التي بناها. ويَعدّ الخليفة المنصور بنصر الله هو أول الخلفاء الفاطميين الذي قام بوضع الشّعارات الشّيعية على سِكّته، حين نقش عبارة "عَليّ وليّ الله" على بعض أرباع الدنانير، ولَعلّ ذلك كان بعد أن اسْتَقرّت له الأمور بانتهاء ثورة أبي يزيد[17] وبِدِئْ مرحلة جديدة من تاريخ الخلافة الفاطمية، التي استكملت ملامحها الجديدة في عصر ابنه الخليفة المعز لدين الله[18].

وفي عصر المعز المذكور استمرّ أهالي ليبيا في استخدام النقود الفاطمية وإن كانت رقعة تداولها الجغرافية قد زادت من حيث الأقاليم، مما سَهّل على تُجّار ليبيا حركة التجارة الخارجية. فالنقود التي ضربها الخليفة المعز تمتد دائرة سَبْكها من المحيط إلى خليج العرب، فمن فاس إلى سجلماسة، إلى المنصوريّة (صَبْرة)، إلى القيروان، والمهديّة، إلى صقلية، إلى طرابلس، ومنها إلى مدائن مصر، وفلسطين، والشّام، والحجاز، واليمن. فما من مدينة من المدائن

الحديد المصمت تأنق المهدي في عملها. وبعد أن أحكم المهدي تحصيناتها قال: "اليوم آمنت على الفاطميات"، يعني بناته = ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، مج5/203-231.

[15] عبد الوهاب، حسن حسني: وَرَقات عن الحضارة العربيّة بإفريقيّة التّونسيّة، تونس، مكتبة المنار، 1965م، ق1/237، 238.

[16] الْمَنْصوريّة: أو مدينة صَبْرة، مُتّصلة بالقيروان، بناها الخليفة الفاطمي المنصور بنصر الله سنة 337هـ/948م، واستوطنها وسمّاها الْمَنْصوريّة، وبقت من بعده منزلاً للولاة إلى حين خرابها. وقد نقل الخليفة المعز إليها -عندما تولى الأمر- أسواق القيروان كلها وجميع الصناعات، وكان لها خمسة أبواب؛ الباب القبلي، والباب الشرقي، وباب زويلة، وباب كتامة وهو جوفي، وباب الفتوح ومنه كانت تخرج الجيوش = البكري، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز: الْمُغرِبُ في ذكر بلاد إفريقية والْمَغرب (وهو جزء من كتاب المسالك والممالك)، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ت، ص25.

[17] هو أبو يزيد مخلد بن كيداد النّكّاريّ، يرجع نسبه إلى قبيلة زناته، نشأ وترعرع في مدينة توزر، كان في بداية أمره معلماً للصبيان في تاهرت، وكان مذهبه تكفير أهل الملّة، واستباحة الأموال والدماء، والخروج على السلطان. خرج على الخليفة القائم في ثورة سنة 333هـ/944م، بعد أن أَعَدّ لها لسنوات عديدة، استطاع فيها هزيمة جيوش القائم ومحاصرته في عاصمته المهدية، وبعد وفاة القائم محاصراً تمكن ابنه الخليفة المنصور بعد صولات وجولات شديدة معه من هزيمته وقتله سنة 336هـ/947م، وذلك بعد أن كاد يُطِيحَ بملك الفاطميين عن المغرب، وللمزيد عنه وعن ثورته ينظر: المقريزي، تَقِيّ الدين أحمد بن علي: اتّعاظ الحُنَفَا بأخبار الأئمة الفاطميين الخُلَفَا، تحقيق جمال الدين الشّيّال، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط2، 1996م، 1/75-85.

[18] رمضان، عاطف منصور محمد: موسوعة النقود في العالم الإسلامي، الجزء الأول، نقود الخلافة الإسلامية (عصر الخلفاء الراشدين- الخلافة الأموية- الخلافة العبّاسيّة- الخلافة الفاطميّة- الخلافة الأمويّة الأندلسيّة)، القاهرة، دار القاهرة، ط1، 2004م، ص319، 322، 323، 327.

الْمُسَمّاة، ولا صقع مما ذكرنا إلّا ونقد المعز فيها دنانيره ودراهمه[19]. والذي قام فيها بسلسلة من التغييرات النقدية التي كان لها تأثير هائل على جميع العملات الفاطمية المستقبلية[20].

وبعد انتقال الفاطميين بِمُلْكِهِم من المغرب إلى مصر سنة 361هـ/971م، اسْتمرّت النقود الفاطمية هي المستخدمة في ليبيا وفي جميع ولايات الفاطميين بالمغرب، سواء المسكوكة منها بمصر والتي أُرْسِلَت للتداول في المغرب، مثل النقود التي سَكّها الخليفة العزيز بالله (365-386هـ/975-996م)، إثر تَوَلّيه الخلافة بعد والده المعز، وقام بإرسالها إلى المغرب دنانير ودراهم عليها اسمه، ليتداولها الناس في الأقاليم الخاضعة لهم التي تحت ولاية بُلُكّين بن زيري (361-373هـ/971-983م)، بعد أن أضاف إلى سُلْطانه كُلٌّ من طرابلس وسُرت وأجدابية[21]. أو تلك النقود التي سُكّتْ على أرض ليبيا مثل الدينار الذي ضُرِبَ بمدينة زويلة[22] سنة 414هـ/1023م، وعليه اسم الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله، مع شعار يدل على شيعية الدولة[23].

وبعد إعلان المعز بن باديس (406-453هـ/1015-1061م)، في سنة 440هـ/1048م الانفصال بولايته في بلاد المغرب عن خلافة الفاطميين بمصر، أمر في سنة 441هـ/1049، بتبديل السّكّة، ومحو أسماء الخلفاء الفاطميين من العملة الفاطمية الموجودة وإعادة سَكّها من جديد، وأشاع في رَعِيّتِهِ بزوال أسمائهم من جميع الدنانير والدراهم في جميع الولايات التابعة له بما فيها ليبيا، كما نَادى مُنَاديه في الناس بأنّ: "من تَصَرّف بمال عليه أسماء بَني عُبَيْد نَالَتْهُ العقوبة الشّديدة"، فنتج عن ذلك أن ضاق الحال بالفقراء والضّعفاء وغلت الأسعار في القيروان[24].

وعلى الرغم من تهديد المعز للناس بالعقوبة لمن يستخدم نقود الفاطميين إلا أنّ من المرجّح أنّ نقود الفاطميين استمرت في التداول بين الأهالي في إقليمي طرابلس الغرب وبرقة لأنّ سلطة الزيريين عليهما لم تكن مطلقة، وذلك

---

[19] حسن حسني عبد الوهاب: وَرَقات، مرجع سابق، ص442-443.

[20] Sherif Anwar and Jere. L. Bacharach: Shi'ism and the Early Dinars of the Fāṭimid, Op. Cit. (from Abstract).

[21] ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفدا عبد الله القاضي وراجعه وصَحّحه محمد يوسق الدقّاق، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1987م، 361/7. كذلك المقريزي: اتعاظ = =الحنفا، مصدر سابق، 237/1-238. ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني: كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تونس، مطبعة الدولة التونسية، ط1، 1386هـ، ص74-75.

[22] مدينة زويلة تقع في الجنوب الشرقي من مدينة طرابلس عاصمة إقليم طرابلس الغرب بنحو 770كم = الطّاهر أحمد الزّاوي: البلدان الليبية، مرجع سابق، ص177.

[23] حامد، سعيد علي: تاريخ ومعالم الحضارة والعمران في ليبيا، بحث منشور ضمن كتاب معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا، القاهرة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ط1، 2008م، ص190-192.

[24] ابن عذاري: البيان الْمُغْرِب، مصدر سابق، 278/1-279.

عدهما عن مركز ولايتهم في القيروان من ناحية، ومن ناحية أخرى تواجد بَني خزرون في طرابلس وبَني قُرّة في برقة فلاقلهما المستمرة بشأن الاستقلال بالحكم، ومما يؤكد ترجيحنا هو أنه قد عُثِرَ على نقود فاطميّة في مدينة توكرة[25]" شمال مدينة برقة عاصمة الإقليم، يبدو أنها كانت متداولة بين الأهالي هناك ترجع في سَكّها إلى عصر الخليفة العاضد لدين الله (555-567هـ/ 1160-1171م)، آخر الخلفاء الفاطميين بمصر[26].

كانت النّقود الفاطمية التي كانت متداولة بين أهالي ليبيا من فئة الدنانير (الدينار، وربع الدينار) وكانت تُسَكّ من الذّهب. وكذلك فئة الدراهم (درهمين، ودرهم ونصف، ودرهم، ونصف الدرهم، وربع الدرهم، وثمن الدرهم)، كانت تُسَكّ من الفضة. هذا إلى جانب الفلوس -(الفِلِسْ)- التي تُسَكّ من الفضة هي الأخرى وهي أقل نقود الفاطميين قيمة، تسهيلاً للعمليات التجارية البسيطة[27]. ويخبرنا ابن عذاري (عاش في ق4هـ/10م) أنه بعد سَكّ المعز بن باديس عملته وإلغاء عملة الفاطميين، كان الدينار القديم -أي الفاطمي- يساوي أربعة دنانير ودرهمين، وكان صرف الدينار الجديد - أي الزّيْري- خمسة وثلاثين درهماً[28].

وإلى جانب النّقود الفاطمية والزّيريّة التي ذكرناها كانت هناك نقوداً أخرى سُكّت في ليبيا خلال حكم الفاطميين وإن كانت لا تتبعهم، مثل النقود التي طبعها بَنى خزرون الزناتيين زمن افتكاكهم لمدينة طرابلس من سلطان بن زيري وهيمنتهم عليها، حيث عُثِرَ على دينار مُوَدّع في متحف باردو بتونس، مضروب بطرابلس سنة 415هـ/1024م، زمن إمارة خليفة بن ورّوا (406هـ-؟/1015م-؟)، وكذلك دينار آخر ضُرِبَ بطرابلس الغرب أيضاً سنة 425هـ/1033م، بالإضافة إلى ربع دينار من الصّنف نفسه، وتاريخ ضرب العملتين الأخيرتين هو ضمن الفترة الزمنية لإمارة سعيد بن خزرون بن سعيد (؟ -429هـ/؟ -1037م)، التي افتَكّهَا من ابن عَمّه خليفة بن ورّوا[29].

---

[25] هي إحدى المدن الخمسة التي كانت برقة تُسَمّى من أجله "أنطابلس"، والتي معناها المدن الخمسة. وتوكرة كانت تُسَمّى "توخيرا" في ذلك الوقت، ولازالت آثار المدينة اليونانية القديمة باقية إلى يومنا هذا مكان قرية توكرة الحاليّة، التي تقع على ساحل بحر إقليم برقة، شرقي مدينة بنغازي بنحو 66.5 كم، وشمالي مدينة المرج بنحو 13كم = الطاهر أحمد الزاوي: البلدان الليبية، مرجع سابق، 84.

[26] بولبيض، عبد الْفَتّاح رجب حمد: تاريخ برقة الإسلامي في الفترة من القرن الخامس حتّى الربع الأول من القرن العاشر الهجري من 400-925هـ، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ط1، 2009م، ص154.

[27] عاطف منصور محمد رمضان: موسوعة النقود، مرجع سابق، ص319، 323، 327، 330، 336، 346، 347، 351، 352.

[28] ابن عذاري: البيان المغرب، مصدر سابق، 279/1.

[29] إدريس، الهادي روجي: الدولة الصنهاجية (تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م)، نقله إلى العربية حَمّادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1992م، 200/2.

كما سُكّت النّقود أيضاً في برقة وطُبِعَت باللقب الذي اتخذه أبي ركوة (ت: سنة 397هـ/1006م)، بعد إسقاطه للحكم الفاطمي عن المدينة وهو "أمير المؤمنين الناصر لدين الله"[30]، وإن كُنّ لا نعلم ما مدى تَقبّل النّاس وتداولهم لتلك النقود؟ وما هي الرقعة الجغرافية التي انتشرت بها؟ حيث كانت سَنَتَيْ ثورته كلها فتن وحروب واضطرابات وما نتج عن ذلك من تدهور للأنشطة الاقتصادية، فلم يستقم فيها حال الإقليم كي تبرز فيه قيمة نقود أبي ركوَة وقوتها في التداول.

2- الْمُقَايَضة:

المقايضة أو كما تُسَمّى الْمُبَادلة أو الْمُعَاوضة، هي ثاني الوسائل المعروفة للتعامل التّجاري منذ قديم الزّمان، وهي قضاء مصلحة وتلبية احتياجات باستبدال شيء مكان شيء دون استخدامٍ للنقود. وقد عمل بنظام المقايضة الكثير من التّجّار في مختلف مناطق العالم في العصر الوسيط، ولا سيّما في العالم الإسلامي[31]، وفي بلاد المغرب انتشر أكثر ما يكون في القُرَى الصّغيرة بين البدو الفقراء في تبادل السّلع الغذائية[32]. وليبيا كجزء من بلاد المغرب قد عَرَفَ تُجّارها المقايضة في معاملاتهم التّجارية، حيث يخبرنا البكريّ (ت: سنة 487هـ/1094م) أنّ تُجّار مدينة زويلة كانت مبايعاتهم بثيابٍ قِصَار حمر[33].

ويبدو أنّ من أكثر أهالي ليبيا استخداماً لنظام المقايضة في تعاملاتهم التجارية كان بين البدو العرب المقيمين في إقليم برقة، وإنْ كُنّ لا نملك نُصُوصاً صريحة ترجع فترتها إلى العصر الفاطمي مباشرة تؤكد كلامنا هذا، إلا أننا نملك عدد من مشاهدات الرّحّالة والمؤرّخين الذين لاحظوا انتشاره في برقة في العصور التي تلت العصر الفاطمي مباشرة، فابن فضل الله العمري (ت: سنة 749هـ/1348م)، على سبيل المثال يقول عن أهل برقة: "وسُكّان برقة

---

[30] الأنطاكي، يحي بن سعيد بن يحيى: تاريخ الأنطاكي"المعروف بِصِلَة تاريخ أوتيخا"، حقّقه وصنع فهارسه عمر عبد السلام تدمري، طرابلس الشام، جرّوس برسّ، 1990م، ص262. كذلك ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصحّحه نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1992م، 15/54-55.

[31] الطيف، علي حامد خليفة: المراكز التّجاريّة الليبيّة وعلاقتها مع ممالك السّودان الأوسط وأثرها على الحياة الاجتماعيّة خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريّين/ الرابع عشر والخامس عشر الهجريّين، طرابلس، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، 2003م، ص112.

[32] أبو مصطفى، كمال: جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1997م، ص92.

[33] البكري: المغرب، مصدر سابق، ص11.

كُلّهم أهل بادية لا يَتَبَايَعون إلّا بالأمتعة حتّى إنّ منهم من يكون معه دراهم فيعرضها للبيع فيقول: من يشتري مِنّي هذه الدّراهم؛ لأنها ليست عندهم نقداً ولا معاملة"[34].

وكذلك العبدري (ت: بعد سنة 700هـ/1300م)، قال عنهم: "والشّأن عندهم في التّبَايع المعاوضة بالمبيعات، والتّبادل في المثمونات، لا يجري بينهم فيها دينارٌ ولا درهم، وباب التّعامل بهما عندهم مبهم..."[35]. وأيضاً أبو الفدا (ت: سنة 732هـ/1331م)، يحدثنا عن العرب الذين يُتَاجرون مع المراكب التي تَرْسَى قبالة قصر اليهود الذي بأرض طلميثة من برقة بقوله: "وتحضر العرب وتُبَايعهم بالبضائع مقابضة"[36]. ولم يخالفهم القول أبي سالم العَيّاشي (ت: سنة 1090هـ/1679م)، إذ لاحظ أثناء تَسَوّقه في الجبل الأخضر من برقة أنّ: "لا أَقَلّ مَعْرفة بالبيع والشّراء من أهله، يُؤخذ منهم زهاء القناطير من السّمن بالثّمن التّافه من بزّ أو عروض أو غير ذلك من الحوائج، ولا يعرفون للدرهم قدراً..."[37].

وإزاء كل تلك النّصوص والشّهادات ندرك أنّ نظام المقايضة كان مُتَأَصّلاً في التّعامل بين أهالي إقليم برقة من العرب -الذين كان أكثرهم في ذلك الوقت من بَني سليم وبَني هلال الذين اكتسحوا المنطقة منذ سنة 443هـ/1051م- ولم يكن جديداً عليهم، لذلك نجزم أنّ هذا النّظام كان يُتَعامل به بين عرب برقة الموجودون زمن الفاطميين، وهم من بَني قُرّة وغيرهم وذلك قبل قدوم أبناء عمومتهم من بَني سليم وبَني هلال الذين وفدوا على الإقليم بعد ذلك، والذين شهد عليهم المؤرّخون والرّحّالة تعاملهم بالمقايضة، فبالتّالي وبطبيعة الحال أنه كانت لهم العادات والتقاليد نفسها، المتوارثة من جيل إلى جيل والتي من الصّعْبِ تغييرها بسرعة، ومنها التّعامل بالمقايضة في الْمُبَايعات.

3- السَّفَاتج والصُّكُوك:

---

[34] ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أشرف على تحقيق الموسوعة وحَقّقَ هذا السِّفْر كامل سلمان الجبوري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2010م، 3/347-348.

[35] الْعَبْدَري، أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود: رحلة الْعَبْدَري، حقّقها وقدّم لها علي إبراهيم كردي، دمشق، دار سعد الدين، ط2، 2005م، ص204.

[36] أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر: تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه رينود وماك كوكين ديسلان، باريس، دار الطباعة السلطانية، 1830م، ص149. (أعادت طبعه بالأوسفت دار صادر ببيروت).

[37] العَيّاشي، أبو سالم عبد الله بن محمد: الرحلة العَيّاشيّة 1661-1663م، حقّقها وقدّم لها سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، أبو ظبي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، 2006م، مج1/201.

كانت المعاملات الماليّة الضّخْمة تستدعي وسائل للدفع مأمونة من الضّياع، خفيفة الحمل، بعيدة عن متناول اللّصوص[38]. لذلك عرف أهالي الإقليمين استخدام السّفَاتج، ومفردها السُّفْتَجَة، وهي "البوليصة"، و"الحوالة". وحقيقتها: الإقراض لسقوط خطر الطّريق، وذلك كأن يكتب الْمُسْتَقرض للمُقْرِضُ كتاباً يدفعه إلى نائبه ببلد آخر، ليعطيه ما أقرضه على سبيل القرض لا على سبيل الوديعة –لأن ذلك التّاجر لا يدفع عينه، بل مثله– وفائدة هذا القرض هي سقوط خطر الطّريق[39]. وقد عُثِرَ في وثائق الجنيزا[40] على سُفْتَجَة يرجع تاريخها إلى سنة 455هـ/1063م، مُرْسَلة من أحد تُجّار طرابلس إلى تاجر بمدينة الفسطاط بمصر بمبلغ قدره مائتي دينار[41].

وإلى جانب السّفَاتج من المرجّح أن تُجّار ليبيا كانوا قد استخدموا الصّكوك[42] في معاملاتهم التّجاريّة كوسيلة من وسائل التعامل التّجاري في البيوع ووفاء الدين[43]، حيث أنّ استخدامها كان متداولاً في بلاد المغرب خلال العصر

---

[38] مِتز، آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النّهضة في الإسلام، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة، بيروت، دار الكتاب العربي، ط5، د. ت، مج379/2.

[39] عمارة، محمد: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، بيروت–القاهرة، دار الشروق، ط1، 1993م، ص286.

[40] الجِنِيزَا: يُطْلَق مصطلح "الجِنِيزَا"، على الكتابات التي وُجِدَت مُوَدّعة في معبد "سيناجوج بن عِزْرَة" اليهودي بالفسطاط، وكذلك في مقابر البَسَاتين اليَهوديّة القريبة من تلك المدينة. والجِنِيزَا كلمة عِبْرِيّة تؤدي معنى الكلمة العربية "جَنَازة"، "إجراءات الدّفن"، وهي مشتقة من الكلمة الفارسيّة "جَنْك"، بمعنى "خزانة"، أو "كنز"، وتعني مكاناً دُفِنَت فيه أوراق حتى لا يُدَنّس اسم الله الذي يمكن أن يكون فيها. وفي البداية كان يُظَنّ أنّ هذه الأوراق كانت تحمل نُصُوصاً دينية في الأساس، ولكن البحث والتنقيب فيها أثبت أنها تحوي معلومات اقتصادية واجتماعية وأُسَريّة على جانب كبير من الأهمية تعود إلى ما بين القرنين 5–8 الهجريين/11–14 الميلاديين، وبها الكثير من المعلومات عن العصر الفاطمي. وتبلغ أوراق الجنيزا حوالي 7000 ورقة (وثيقة)، وقد تَنَبّه إلى المعلومات المهمة التي يمكن استخراجها منها العالم اليهودي الأمريكي صمويل د. جويتين (S. D Goitein)، فتناولها بالتّقَصّي والبحث، وكتب عنها سلسلة طويلة من الدراسات بدأها منذ أوائل الخمسينات، وتَوّجَها بمؤلف ضخم من خمسة أجزاء، وللمزيد عنها يُنْظَر= سَيّد، أيمن فؤاد: عرض لكتاب مجتمع البحر المتوسط لجويتين، مجلة المؤرخ المصري، القاهرة، كلية الآداب بجامعة القاهرة، العدد الأول، يناير 1988م، ص245– 250.

[41] Goitein, S. D: A Mediterranean Society: *The Jewish Communities of the Arab World as Portrayed in the Documents of the Cairo Geniza*, Vol. I: Economic Foundations, University of California Press, 1967, p.29.
كذلك أحمد، حسن خضيري: علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب (362-567هـ/973-1171م)، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط1، د.ت، ص146.

[42] الصّكوك: ومفردها الصَّكّ، وهو الكتاب الذي يكتب فيه عن مال مُؤَجّل أو نحوه. والصَّكّ: كتاب الإقرار بالبيع أو الرّهن أو نحوها = محمد عمارة: المصطلحات الاقتصادية، مرجع سابق، ص332.

[43] حسن خضيري أحمد: علاقات الفاطميين، مرجع سابق، ص144.

الفاطمي، فقد ذكر ابن حوقل (القرن 4هـ/10م)، أنه رأي بـ "أَوْدَغَسْت"[44]، صَكّاً فيه حَقّ لأحد التّجّار على رجل من تُجّار سِجِلْمَاسة باثنين وأربعين ألف دينار[45].

ثانياً: الضّرائب الفَاطِمِيّة:

سبق وأن ذكرنا في مقدمة هذا المقال أنّ اهتمام الفاطميّون بمقوّمات ازدهار النّشاط الاقتصادي في ليبيا وغيرها من أقاليم المغرب الإسلامي الخاضعة لهم، كان جزءٌ من سياسة عامّة انتهجها الفاطميّون للنموّ باقتصاداتها، التي تُؤَدّي بطبيعة الحال إلى زيادة الإيرادات الماليّة الداخلة على الدولة من خلال تحصيل الضّرائب المختلفة من الأنشطة الاقتصاديّة. فقد كانت احتياجات الفاطميين للأموال كثيرة ومُلِحّة في ذلك الوقت، وحتى خلفائهم كانوا أَقَلّ بذخاً من غيرهم توفيراً لمتطلبات دولتهم الناشئة والآخذة في التّمَدّد، حيث كانت مَهَامهم الحربيّة في هذا الخصوص تَمْتَصّ مبالغاً ضخمة، مثل الرّواتب والتّسْليح، وخصوصاً تجهيز الحملات الحربية لغزو مصر، ومصاريف انتقال الفاطميين من المغرب إليها. ففي سبيل الغزو الذي كان شاغلهم الدائم، كان الفاطميّون مضطرين للحصول من الأقاليم الخاضعة لهم في بلاد المغرب –بما فيها ليبيا– على الموارد الماليّة اللازمة والمطلوبة[46]، ولذلك اهتموا بتحصيل الضّرائب الشّرعيّة المعروفة كالزّكاة والخَرَاج والعُشُور وغيرها، وابتدعوا ضرائب جديدة أخرى أثقلوا بها كاهل الناس وكانت محل شكواهم، وليس أَدَلُّ من ذلك ما ذكره ابن عذاري في تاريخه بقوله: "وفي سنة 307هـ/919م، كان بإفريقية وما والاها إلى مصر طاعونٌ شديدٌ وغلاء سعرٍ، مع الجُور الشّامل من الشّيعة [يقصد الفاطميّون] والتّعلُّل على أموال النّاس في كُلّ جهة"[47].

ومهما يكن من الأمر فإننا سنعرض هنا لأهم الضّرائب التي فرضها الفاطميّون على أهالي ليبيا، ولا سيّما على أصحاب الأنشطة الاقتصادية من زراعة ورَعِي وتجارة، وهي:

1- الضّرائب الزّراعيّة

---

[44] أَوْدَغَسْت: أو أَوْذَغَسْت، بتبديل الدال بالذال، مدينة بين جبلين في قلب البر، في شرقيها بلاد السودان، وفي غربيها البحر المتوسط، وفي شماليها منفتلاً إلى الغرب بلاد سجلماسة، وفي جنوبيها بلاد السودان، بينها وبين سجلماسة مسيرة شهرين، بها أسواق جليلة وهي مِصر من الأمصار جليل = ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، مج1/277- 278.

[45] ابن حوقل النصيبي، أبو القاسم: كتاب صورة الأرض، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1992م، ق1/96.

[46] مارسيه، جورج: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمه عن الفرنسية محمود عبد الصمد هيكل وراجعه واستخرج نصوصه مصطفى أبو ضيف أحمد، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1991م، ص164.

[47] ابن عذاري: البيان المغرب، مصدر سابق، 1/181.

أ- الْخَرَاج:

الْخَرَاج هو قدر مُعيّن من المال أو الحاصلات يُفْرض على الأرض المفتوحة عنوة إذا عدل الخليفة أو الأمير عن تقسيمها على المحاربين ووقفها على مصالح المسلمين بعد أن يُعَوّض المحاربين عن نصيبهم فيها. ويُؤْخذ الخَرَاج كذلك على الأرض التي اسْتَوْلَى عليها المسلمون صلحاً وتركوا أهلها فيها مقابل خَرَاجٌ معلومٌ يُؤَدّونه لبيت مال المسلمين. ويختلف الخَرَاج عن الجِزْيَة في وُجُوه أهمّها أنه لا يسقط بالإسلام بينما تسقط الجزية[48]. فالخراج أُجْرَة عن الأرض لأنّ مالكيها هم مجموع الأُمّة الإسلامية، وتبقى الأُجرة وإن انتقلت الأرض من أيدي أهل الذّمة إلى أيدي المسلمين، فيجب على المسلمين دفع الخَرَاج لأنه مُؤَبّد مع الأرض. وهكذا بقي الخَرَاج طوال العصور الإسلامية[49].

وقد اهْتَمّ الفاطميّون بتحصيل الخَرَاج من أراضي ليبيا الزراعية، وقد اختلفوا في طريقة جَبْيُهْ من أهاليها، ففي طرابلس استخدموا نظام "الأمانة"، أي أن الوالي أو المسؤول عن الخراج هو من يَجْبي الخَرَاج من دَافِعِيه مباشرةً. أما برقة فقد اسْتُخْدم فيها نظام "الضّمان"، حيث أصبح خَرَاجَهَا يُعْطَى للمُتَقبّل، أي الضّامن، يتعهد بموجبه بدفع مبلغ معين للدولة سنوياً وكان يَتولّى هو جباية الضّرائب المفروضة على الإقليم، وغالباً ما يكون مبلغ التّعَهّد أقل من المبلغ الذي يَجْبِيه[50].

وغير مستبعد -كما يرى ابن حوقل- أن يكون هؤلاء المتقبّلون أو الضّامنون ممن لا يَتَقَيّدون بالقوانين الموجودة في أيديهم فيحاولون استخراج أموال كثيرة لأنفسهم. وكانت برقة هي المنطقة الوحيدة في بلاد المغرب التي جَبَى الفاطميّون خَرَاجَها بالضّمان، أما بقية المغرب فكان العمل فيه قائماً على الأمانة، أي العلاقة المباشرة بين وُلَاة الدّولة ودَافِعِي الخَرَاج كما أسلفنا الذّكر[51].

---

[48] البرغوثي، عبد اللطيف محمود: تاريخ ليبيا الإسلامي من الفتح الإسلامي حتّى بداية العصر العثماني، بيروت، دار صادر، 1973م، ص73.

[49] الرّيّس، محمد ضياء الدّين: الْخَرَاج والنُّظُم الماليّة للدولة الإسلامية، القاهرة، دار المعارف، ط3، 1969م، ص130.

[50] مجاني، بوبة: أثر الضّرائب في ثوابت ومُتَغيّرات سياسة الخلافة الفاطميّة في مرحلتها المغْربية، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق، العددان 67-68، كانون الثاني 1999م، ص138.

[51] ابن حوقل: صورة الأرض، مصدر سابق، ق94/1. كذلك إحسان عبّاس: تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي، مرجع سابق، ص102.

وقد عُرِفَتْ الطّريقة التي قَدّرَتْ بها الدولة الفاطمية الخَراج باسم "التّقْسيط"، وهي تقوم على حصر الضّياع الزّراعية في كل بلد، ثم النّظر إلى أعلى دخل تَحَصّلت عليه من العُشُور في سنة، وكذلك أَقَلُّهُ، ثم تجمع القيمتين، وتفرض نصف حاصل جمعها (شطرها) على كل ضَيْعَة[52].

ولا ندري ما تأثير هذه الطّريقة على دخل مُزَارعي ليبيا، وإن كان هناك من يرى بأنها طريقة مُجْحَفة في حَقّ أصحاب الضّياع، حيث أنها لا تأخذ بعين الاعتبار حقيقة المنتوج السّنوي، مع تَذَكّر أن سنوات الْعُجَاف كثيرة في شمال أفريقيا، وأن تَوَاليها أمر اعتيادي، وأنّ سنوات المنتوج العالي قليلة، فالبتّالي يمكن الافتراض أنّ ما كان يُفْرَضُ على كل ضَيْعَة كان ثقيلاً[53].

ب- الْعُشُر:

الْعُشُر ضريبة إسلامية تُجْبَى على الأراضي العُشُريّة، أي التي لا تدفع خَرَاجاً وإنما يدفع أصحابها عُشُر ثمارها وغلالها، ويندرج تحت هذا النوع من الأراضي: الأرض التي أسلم أهلها وهم عليها دون حرب (فيها خلاف بين الإمام الشافعي والإمام أبي حنيفة)، والأرض التي مَلَكَها المسلمون عنوة وقهراً إذ قَسّمها الخليفة أو الأمير على الفاتحين فهي تعتبر آنئذٍ أرض عُشُر ولا يجوز أن يوضع عليها خَرَاج (فيها خلاف بين الأئمة أبي حنيفة ومالك والشّافعي)، وكذلك الأرض التي استأنف المسلمون إحياؤها فهي تعتبر أرض عُشُر لا يجوز أن يوضع عليها خَرَاج أيضاً[54].

والْعُشُر مثلها مثل ضريبة الخَرَاج اهتم الفاطميّون بِجَبْيِهَا من مُدُن وبَلْدَات وقُرَى ووَاحَات ليبيا التي بها ضِيَاع وبساتين ومَزَارع، وكان الذي يقوم بِتَعْشِير خُضَرها وبساتينها من مناطقها أميرها وصاحب صلاتها، وكانت له الحرية التامّة في حصرها وتقييم قيمتها وجَبي مبالغها دون الرّجوع إلى السّلطان[55].

ج- التَّضْيِيع والْمَرَاعي:

---

[52] ابن عذاري: البيان المغرب، مصدر سابق، 173/1.

[53] ابن حمّادي، عمر: بعض المنعرجات الهامّة في أوضاع الملكيات الزراعيّة في إفريقيّة في فترة تاريخها الوسيط، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق، العددان 43-44، كانون الأول 1992م، ص98.

[54] الْمَاوَرْدي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب: كتاب الأحكام السُّلْطانيّة والوِلايات الدّينيّة، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، الكويت، دار ابن قتيبة، ط1، 1989م، ص187. كذلك عبد اللطيف محمود البرغوثي: تاريخ ليبيا الإسلامي، مرجع سابق، ص73-74.

[55] ابن حوقل: صورة الأرض، مصدر سابق، ق70/1.

من الْمُتّفق عليه أنّ الضّريبة الزراعية الشّرعية التي كانت تُجْبَى من قِبَل الدولة الإسلامية هي على نوعين فقط: الخَرَاج، والْعُشُر [56]. ولكن الفاطميّون لم يكتفوا بذلك إزاء احتياجات بيت المال التي كانت تزداد مع تَطوّر دولتهم الناشئة على مَرّ الأيام، لذلك فرضوا ضريبة جديدة سنة 305هـ/917م، على أعمال إفريقية اسمها "التّضْيِيع"، زعموا أنها من بقايا التّقْسيط[57]، بمعنى التّعديل الضّريبي، أي الإصلاح الضّريبي الذي كان يتم ما بين الحين والحين[58].

كما لم تَنْجُ الأراضي الرّعويّة من ضرائبهم أيضاً، فكانت هناك ضرائب على المَرَاعي[59]، واضطرّ الرُّعَاة الرُّحَّل لدفع حق استغلال المراعي لأغنامهم التي لم تَفْلت هي الأخرى من ضريبة العُشُر عند مرورها من بعض الحدود الضّريبية[60]، هذا إلى جانب ما يُقْبَض من مال زكاتها وصدقتها ولا سيّما من الإبل والبقر والغنم[61].

2- ضَرائب العُبُور:

كانت ليبيا قديماً ولازالت تتمتع بموقعٍ فَريدٍ يربط ما بين مصر وبلاد المشرق كافة ببلاد المغرب وما وراءها من بلاد الأندلس. وكذلك ما بين بلاد السّودان وأواسط أفريقيا بعالم ما وراء البحر المتوسط. ولقد قام الفاطميّون باستغلال هذا الموقع خير استغلال في جمع الأموال الكثيرة، من خلال فرض ضرائب على التّجارة والسّلع والقوافل العابرة لأراضي ليبيا وتحصيلها من عدّة مَحطّات فيها[62]. ومن المعروف أنّ في الإسلام ضريبة تُسَمّى عُشُور التّجارة تُفْرَض على أموال التّجارة الصّادرة من البلاد الإسلامية والواردة لها، وهي تُفْرَض مَرّةً واحدةً في السّنة، كما أنها لا تُؤْخَذ من مال التّجارة إذا نَقَصَ عمّا قيمته من الذهب عشرين ديناراً مضروبة وغير مضروبة، ومن الفضة مائتي درهم. ولا تُؤْخَذ كذلك من التّاجر إلّا إذا انتقل من بلاده إلى بلادٍ أخرى، فالتّاجر المصري على سبيل المثال لا يُؤْخَذ منه شيءٌ ما دام يتنقل في مصر، فإذا انتقل إلى بلاد أُخْرى كالشّام أو العراق دفع هذه الضّريبة[63].

---

[56] خماش، نجدة: الضّريبة الإسلاميّة وأهميتها في صدر الإسلام، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق، العددان 43-44، كانون الأول 1992م، ص67.

[57] ابن عذاري: البيان المغرب، مصدر سابق، 181/1.

[58] عبد الحميد، سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1990م، 122/3.

[59] ابن حوقل: صورة الأرض، مصدر سابق، ق94/1.

[60] ابن حوقل: صورة الأرض، مصدر سابق، ق71/1. كذلك جورج مارسيه: بلاد المغرب، مرجع سابق، ص166.

[61] ابن عذاري: البيان المغرب، مصدر سابق، 142/1.

[62] بن حوقل: صورة الأرض، مصدر سابق، ق70/1-71.

[63] محمد، قطب إبراهيم: النُّظُم الْمَاليّة في الإسلام، القاهرة، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ط4، 1996م، ص109، 110.

ولكن ضرائب العُبُور الفاطمية هذه التي فرضت على المارّين بأراضي ليبيا كانت تختلف كل الاختلاف عن عشور التجارة، لأنه لم يكن فيها استثناءات إطلاقاً؛ سواء أكان التّاجر مَحَلّي من ليبيا أو قادم من خارجهما فالكل مطالب بالدفع. وهي ليست سَنَوية كَعُشُور التجارة بل هي متعددة الدفع بتعدد مَرّات العبور من الحدود المقررة للضريبة، كما أنها لم تُحَدّد فيها استثناءات من حيث قيمة الشّيْء العابر، فكانت تُؤْخَذُ من كل "الجِمَال والأَحْمال والْمَحَامل والبِغَال والرّقيق والغَنم والحَمِير، إلى ما عدا ذلك من الأسباب الواردة"[64].

وقد تَشَدّد الفاطميّون -كغيرها من الضّرائب- في تحصيلها، فكانت مُلْزَمة على كُلّ من كان وحَتّى وإن كان من رجال الدولة الْمُقَرّبين من الخلفاء الفاطميين، ولا يُسْتَعْفَى منها أحد إلّا بكتابٍ من الخليفة الفاطمي نفسه أو من يُكلّفه الخليفة بذلك، كما أنه تُرَاعَى في تقديرها حمولة البَعير أو القافلة، فعلى سبيل المثال عندما أهدى والي إقليم برقة أفلح النّاشب (342- بعد سنة 369هـ/963- بعد سنة 979م) -إبّان خلافة المعز لدين الله- عشرين بعيراً للأستاذ جوذر[65] محملة بالهدايا والأمتعة، بعث هذا الأخير إلى الخليفة المعز يطلب منه أن يكتب له سجلّاً بالإعفاء من الضّرائب يكون بيد الْمُتَصرّف في هذه الجمال حتى لا يدفع عليها ضريبة عند أبواب المدن والرّحاب لأن حملها كان ثقيلاً، فكان له ما طلب، وكتب له القائد جوهر الصّقلي (312-381هـ/924-991م) كتاب يَعْفِيه من الدفع بأمر من الخليفة المعز نفسه[66].

ومن مَراكز ليبيا ومَعابرها التي كانت تُفْرَضُ منها ضرائب العبور، مدينة أجدابية بإقليم برقة التي كانت مَعْبراً مُهِمّاً من المعَابر التّجارية إلى بلاد السّودان، فكانت قوافلها العابرة إلى بلاد السّودان أو العائدة منها من بلاد المغرب تَدْفع تلك الضّرائب[67]. وكذلك مدينة طرابلس كان حاكمها يُحَصّل رسوماً على كل "جَمَلٍ ومَحْملٍ وحِمْلٍ". هذا إلى جانب محطات للضرائب جديدة أَقَرّها الفاطميّون وكانت موجودة وقت مرور ابن حوقل عبر المنطقة وقد

---

[64] ابن حوقل: صورة الأرض، مصدر سابق، ق71/1.

[65] جُوذَر: من العبيد الصقالبة الذين دخلوا في خدمة وولاء الخليفة المهدي، الذي وهبه لابنه القائم فحلّ في خلافته محلاً جليلاً، واعتمد عليه كثيراً في مور دولته، وبعد وفاة القائم ورثه من بعده ابنه المنصور مع توصية من أبيه بحفظ مكانته، فازداد جوذر عزّة عنده، وأعتقه مكافاةً له بعد النصر على أبي زيد، وشرّفه بلقب "مولى أمير المؤمنين"، وهو لقب لم يناله ويُلقّب به أحد إلا جُوذَر، واحتفظ به منفرداً زمن المعز إلى أن ناله أيضاً القائد جوهر بعد تحه لمصر، لذلك أمر المعز بالمؤاخاة بينهما، وإن كان احتفظ لجُوذَر بالمفاضلة عند كتابتة لجوهر، حيث لا يُعَلى عليه أحد بالألقاب في المراسلات إلا لخليفة ووليّ عهده، فهو بمثابة الرجل الثالث في الدولة بعدهما، وهي نفس المنزلة التي تكون للوزراء إذ اتّخذ الخلفاء الوزراء. = الجوذري: سيرة الأستاذ جوذر، مصدر سابق، ص7-9.

[66] المصدر نفسه، ص95، 109-110.

[67] ابن حوقل: صورة الأرض، مصدر سابق، ق70/1.

أثارت استغرابه، وهي في مَدينتي صَبْرَة[68] ولبدة[69]، وفي ذلك يقول ابن حوقل: "...صَبْرَة وهي منزل من أطرابلس على يوم، وبه ضريبة على القوافل وقتنا هذا، ولم أعرفها قديماً ولا سمعت بها على الخارج من أطرابلس إلى القيروان وعلى القادم من القيروان إلى أطرابلس، غير ما يقبضه المتولّي عمل طرابلس من كل جملٍ ومحملٍ وحِملٍ، وذلك كالذي بِلبدَة وهي أيضاً قرية بينها وبين أطرابلس إلى جهة المشرق مرحلتان من الضّريبة على الجِمَال والأَحْمال والْمَحَامل والبِغَال والرّقيق والغَنم والحَمِير، إلى ما عدا ذلك من الأسباب الواردة"[70].

وبذلك يتضح لنا أنّ الفاطميين كانوا قد أنشأوا دائرة جمركية من الناحية الغربية لإقليم طرابلس تمثلت في مدينة صبرة، كانت تُحَصّل منها الضّرائب على القوافل التجارية المتنقلة بين طرابلس والقيروان، وفي الوقت نفسه أقاموا دائرة جمركية أخرى من الناحية الشرقية لطرابلس في مدينة لبدة، وكانت أيضاً تحصل منها الضّرائب على جميع السّلع والقوافل الواردة على الإقليم[71]. ولكيلا يتهرب أيّ تاجر من دفع الضرائب التي فُرِضَتْ عليه، أنشأ الفاطميون مراصد للمُرَاقبة كالّتي في مدينة سرت، مهمتها مُرَاقبة القوافل التّجارية مُرَاقبة دقيقة، من خلال ما يُسَجّله المسؤول عن ذلك من وُرُود البضائع واستيفاء ضرائبها ولوازمها، وكتابة السّجلات والمناشير بما وَجَبَ على الأمتعة وتفاصيلها، وذلك خوفاً من التّهَرُّب عن أدائها بإفريقية[72]. كما فُرِضَتْ ضرائب عبور على السّلع الواردة

---

[68] صبرة أو صبراته: مدينة قديمة أنشأها الفينيقيون حوالي سنة 900 أو 800ق.م، وكانت من أعظم المدن في الشمال الأفريقي، ومركزاً من أهم المراكز التجارية الفينيقية في تلك المنطقة. وكانت هي ومدينة أويا (طرابلس) ولبدة، يُكَوّنان إقليماً واحدا هو إقليم طرابلس الآن، الذي كان يُطلق عليه في ذلك العصر كلمة "تريبولي"، ولا تزال آثاها شامخة إلى يومنا هذا = (الطّاهر أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، بيروت، دار المدار الإسلامي، ط4، 2004م، ص56-57. ومدينة صَبْرَة هذه على خلاف مدينة صَبْرَة الأخرى الملاصقة لمدينة القيروان، والتي بناها الخليفة الفاطمي المنصور بنصر الله سنة 337هـ/957م واستوطنها وسمّاها المنصورة أو المنصورية= البكري: المغرب، مصدر سابق، ص25. كذلك مجهول، كاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب) نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، د.ت، ص115.

[69] لبدة العظيمة، أو لبدة الكبرى، أو كما تُعْرَفُ قديماً لبتس مانيا. هي مدينة عظيمة من مدن الشمال الأفريقي الكبرى. أَسّسها الفينيقيون في أوائل القرن العاشر قبل الميلاد، عند بداية استعمارهم إفريقية. تقع شرقي مدينة طرابلس بحوالي 100كم. وكان لها تاريخ حافل في المنطقة عبر عصورها ومنذ تأسيسها، تشهد على عظمته أطلالها القائمة إلى يومنا هذا. وقد بُنِيَت مدينة الخمس الليبية الحَالِيّة على جزء منها وبأنقاضها = الطاهر أحمد الزاوي: الفتح العربي في ليبيا، مرجع سابق، ص42-47.

[70] ابن حوقل: صورة الأرض، مصدر سابق، ق1/71.

[71] الطنطاوي، وليد علي محمد السيّد: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في برقة وطرابلس منذ منتصف القرن السادس الهجري وحتّى منتصف القرن الثامن الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، الفَيّوم، كلية دار العلوم، جامعة الفَيّوم، 2008م، ص348-349.

[72] ابن حوقل: صورة الأرض، مصدر سابق، ق1/70-71. كذلك بوبة مجاني: أثر الضّرائب، مرجع سابق، ص139.

من البحر من بلد الرّوم والأندلس والتي تنزل موانئ ليبيا، فإنّ تلك البضائع تَدْفع ضريبة تبلغ عُشُر قيمتها، تُحَصّل على السّواحل قبل دخولها للبلاد[73].

3- الْغَرَامات والْمُصَادرات:

كان إلى جانب الضّرائب السّابقة الذّكر -التي اخْتَصّت بأنشطة الزّراعة والرّعي والتّجارة- ضرائب أخرى لا تتعلق بالأنشطة الاقتصادية وإنما تتعلق بالأزمات السّياسيّة والثّورات الداخليّة التي تَعرّضت لها السّلطة الفاطمية. والتي اتّبَعت معها نظام الغَرَامات والْمُصَادرات واستصفاء الأموال كعقوبات جَمَاعيّة أو فَرْدِيّة، وفي الوقت نفسه عُدّت من مصادر دخل بيت المال الفاطمي[74]. فإنّ مثل تلك الضّرائب التأديبية والغرامات الحربيّة -ولاسيّما المفروضة على الأقاليم البعيدة عن المركز التي كثيراً ما كانت تنبذ سلطة الدولة ولكن سرعان ما تعود إلى الحظيرة الفاطمية قهراً، وتُسَدّد غراماتٍ باهظة- كانت تُمثّل مساهمة لا يُسْتَهان بها بالنسبة إلى خزينة الدولة الفاطمية[75].

ففي سنة 300هـ/912م، عندما أرسل المهدي ابنه أبو القاسم على رأس جيشٍ لإخماد ثورة قامت عليه في طرابلس وتمكن من ذلك، قام أبو القاسم بتغريم أهل طرابلس مبلغاً كبيراً من المال قدره ثلاثمائة ألف دينار[76]، وقيل أربعمائة ألف دينار وهو قيمة ما أنفقه على جيشه في هذه الحملة. وكان الذي تَوَلّى تغريم أهل طرابلس والتنكيل بهم عقب هذه الثورة هو الخليل بن إسحاق (ت: سنة 332هـ/943م)، وهو من أبناء جندها وممن وُلِدَ بها[77]. أيضاً الحال نفسه في جبل نفوسة عندما شَقّ أهله عصا الطاعة على المهدي فأرسل إليهم جنده بقيادة علي بن سليمان أحد دعاة الفاطميين، الذي تمكن من كسر شوكتهم بعد حصارٍ شديدٍ قتل فيه الرجال وسبى النساء، وقام بِغَنم الكثير من أموال أهل نفوسة، وأرسل إلى المهدي يخبره بهذا النصر بكتاب وصله لاثنتي عشرة ليلة بَقِيَت من شهر شعبان سنة 311هـ/923م[78].

كذلك كان القائد حُبَاسة بن يوسف الملوسي (ت: سنة 302هـ/914م)، يستخدم الأسلوب نفسه أثناء تَوَجّهِه للمشرق في طريقه لغزو مصر، حيث كان شديد الوَطْأَةِ على المدن التي دخلها في إقليم برقة، فكان "كُلّما دخل

---

73 ابن حوقل: صورة الأرض، مصدر سابق، ق94/1.

74 سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب، مرجع سابق، 118/3.

75 الدشراوي، فرحات: الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365هـ/909-975م) التاريخ السياسي والمؤسسات، نقله إلى العربية حَمّادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1994م، ص494.

76 ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، 49/4.

77 التجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد: رحلة التجاني، ليبيا-تونس، الدار العربية للكتاب، 1981م، ص241.

78 عماد الدين: تاريخ الخلفاء الفاطميين، مصدر سابق، ص214.

مدينة قتل أهلها وأخذ أموالهم وعاث فيهم". كما قام بتغريم أهل برقة المدينة مائة ألف مثقال، وأخذ جميع أموال بني جمال المزاتي بدعوة أنهم أساءوا إلى المهدي عند قدومه من مصر وسرقوا بعض ماله ومتاعه. ورغم ما تقوله الرواية من أن المهدي اعتذر لأهل برقة وحلف بأنه ما أمر حُبَاسة بشيء من ذلك، فإنّ هذا الأخير عندما دخل الأراضي المصرية فعل بها مثل ما فعل ببرقة من قتل الناس وأخذ أموالهم[79]. كما كانت أموال أهل برقة هدفاً لقوات المهدي التي دخلتها سنة 304هـ/916م، بقيادة أبي مَدْيَن بن فَرُّوخ اللّهيصي (ت: سنة 306هـ/918م)، الذي اسْتَصْفى أموالهم بعد أن أَتَتْ الحرب على أكثرهم في حصار للمدينة بلغ ثمانية عشر شهراً[80].

ومهما يكن من الأمر فإن الموارد التي تمثلها مثل تلك الضّرائب بالرغم من أهميتها للدولة الفاطمية النّاشئة في ذلك الوقت، إلّا أنها لم تكن تَكْتَسي سُوَى طابع استثنائي مثل سائر الإجراءات التّعَسُّفِيّة الشّائعة عهدئذٍ في الأقطار الإسلامية والنّصْرانية على حَدٍ سواء، كالْمُصَادرات والغَرَامات وغنائم الحملات العَسْكريّة البَرّيّة والبَحْريّة إلى غير ذلك[81].

الخاتمة:

ومن خلال العرض السّابق يتضح لنا أنّ كثرة الأموال المتداولة على أرض إقليمي طرابلس الغرب وبرقة خلال العصر الفاطمي –والتي جاءت كنتيجة طبيعية للازدهار الاقتصادي– أدت إلى تعدد وتنوع طرق ووسائل التبادل التجاري اللازمة لاستيعاب هذا الكم الكبير من الأموال الموجودة ولتسهيل حركة التبادل التجاري النشطة أنداك. كما يتبين لنا مقدار اهتمام الفاطميين بجمع الضرائب وتحصيلها والابتداع في فرضها لما تُمثّله لهم من أهمية في تحقيق مشروعهم الحربي والدّعَوي، وليس أَدَلُّ على أهمية الضرائب بالنسبة للخلفاء الفاطميين من وصايا الخليفة المعز لدين الله لِبُلُكّين بن زيري قُبَيل مغادرته المغرب للاستقرار بمصر سنة 361هـ/971م، حيث كانت أَوّلها

---

[79] ابن عذاري: البيان المغرب، مصدر سابق، 170/1-171.

[80] المصدر نفسه، 175/1.

[81] فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية، مرجع سابق، ص494.

وأَهَمّها بعدم رفع الجباية عن أهل البادية[82]. ولذلك كان الفاطميون إبّان تواجدهم بالمغرب يستعينون بِجُبَاةٍ اتّسَموا بالشّراسة والعنف والتّعَسّف في جباية الضرائب وتحصيلها[83].

وإزاء كل ذلك كانت الأموال الْمُحَصّلة من أهالي إقليمي طرابلس الغرب وبرقة خلال الحكم الفاطمي -المباشر أو غير المباشر عن طريق بني زيري- كثيرة جداً وتدعو للدهشة، وكانت مَضْرِبَ مثل ابن خلدون (ت: سنة 808هـ/1405م)، في "الرِّفْهِ وكَثْرة الْجِبَايات واتّسَاع الأحوال في نفقاتهم وأُعْطِيَاتهم"[84]. حيث حَدّثنا المقريزي (ت: سنة 845هـ/1441م)، أنه في سنة 369هـ/979م، أرسل والي برقة هدية للخليفة العزيز بالله كان من ضمنها مائة صندوق ممتلئة بالأموال[85]. وفي السنة نفسها وردت على العزيز هدية أخرى من مُتَوَلّي برقة متضمنة "ستة عشر حملاً من المال"[86]. وإذا نظرنا إلى كمية الأموال التي أُرسلت في سنة واحدة من برقة يتضح لنا مقدار الرخاء والازدهار الاقتصادي التي كانت تعيشه وقت ذاك إلى جانب الهِمّة في تجميع ضرائبها من قبل جُبَاتها. واستمرت برقة موردا جيداً للأموال الداخلة على خزينة الدولة الفاطمية بمصر طوال سنين الاستتباب السياسي، وكانت تُرْسَل جبايات ضرائبها تباعاً إلى مصر، منها شحنة سنة 385هـ/995م، الْمُكَوّنة من أربعة وأربعين صندوقاً من المال على اثنين وعشرين جملاً[87].

والحال نفسه في طرابلس من سِعَة الحال وكثرة أموال الجبايات والضّرائب، ولا شك أن أموال طرابلس هذه من الكثرة بحيث أن الخليفة المعز كان يرجو أن تُعوّضه خلال سنة بعض نفقات حملة جوهر العسكرية الضخمة إلى مصر[88]، والتي كَلّفَتْ الخزينة الفاطمية أربعة وعشرين مليون دينار، عَدَا ما حمله ألف جمل من المال، الذي رُصد

---

[82] وكان نص الوَصيّة: "إن نسيت شيئاً مما أوصيتك به فلا تنسَ ثلاثة أشياء: لا ترفع الجِبَاية عن أهل البادية. ولا ترفع السيف عن البربر. ولا تُوَلِّ أحداً من إخوتك وبني عمك، فإنهم يرون أنهم أحقُّ بهذا الأمر منك. واستوصِ بالحضر خيراً" = ابن الخطيب، الوزير لسان الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط (القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام)، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1964م، ص65.

[83] الْوَنْشَريسي، أبو الْعَبّاس أحمد بن يحيى: الْمِعْيَار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقيّة والأندلس والْمَغْرب، خَرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حَجّي، الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية، 1981م، 170/6. كذلك كمال أبو مصطفى: حضارة المغرب، مرجع سابق، ص84.

[84] ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، حَقّقَ نصوصه وخَرّج أحاديثه وعَلّقَ عليه عبد الله محمد الدرويش، دمشق، دار البلخي-مكتبة الهداية، ط1، 2008م، 40/2.

[85] المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، 249/1.

[86] المصدر نفسه، 252/1.

[87] نفسه، 285/1.

[88] الجوذري: سيرة الأستاذ جوذر، مصدر سابق، ص118-119. كذلك سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب، مرجع سابق، 278/3.

للإنفاق على هذه الحملة[89]. وفي ختام هذا المقال لا يسعني إلا تقديم جزيل شكري وعرفاني إلى قسم التاريخ والحضارة الإسلامية بأكاديمية الدراسات الإسلامية بجامعة ملايا والقائمين عليه وعلى إعداد هذا المؤتمر، لما يبذلونه من جهد في توفير البيئة العلمية لطلبة العلم والباحثين في احتضانهم لهذا المؤتمر العلمي التاريخي، فنسأل الله أن يكون عملهم ذخراً لهم وفي ميزان حسناتهم.

المصادر والمراجع

1- ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني: كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تونس، مطبعة الدولة التونسية، ط1، 1386هـ.

2- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفدا عبد الله القاضي وراجعه وصَحّحه محمد يوسق الدقّاق، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1987م.

3- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصحّحه نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1992م.

4- ابن حوقل النصيبي، أبو القاسم: كتاب صورة الأرض، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1992م.

5- ابن الخطيب، الوزير لسان الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط (القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام)، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1964م.

6- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأعظم، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م.

7- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون، حَقّقَ نصوصه وخَرّج أحاديثه وعَلّقَ عليه عبد الله محمد الدرويش، دمشق، دار البلخي-مكتبة الهداية، ط1، 2008م.

8- ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد: البيان الْمُغْرِب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، ط3، 1983م.

---

[89] المقريزي: اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، 97/1. كذلك حسن، حسن إبراهيم وطه أحمد شرف: المعز لدين الله، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1963م، ص84.

9- ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أشرف على تحقيق الموسوعة وحَقّقَ هذا السِّفْر كامل سلمان الجبوري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2010م.

10- أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر: تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه رينود وماك كوكين ديسلان، باريس، دار الطباعة السلطانية، 1830م. (أعادت طبعه بالأوسفت دار صادر ببيروت).

11- الأنطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى: تاريخ الأنطاكي"المعروف بِصِلَة تاريخ أوتيخا"، حقّقه وصنع فهارسه عمر عبد السلام تدمري، طرابلس الشام، جرّوس برسّ، 1990م.

12- البكري، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز: الْمُغرِبُ في ذكر بلاد إفريقية والْمَغرب (وهو جزء من كتاب المسالك والممالك)، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د. ت.

13- التجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد: رحلة التجاني، ليبيا-تونس، الدار العربية للكتاب، 1981م.

14- الجوذري، أبو علي منصور العزيزي: سيرة الأستاذ جُوذَر "وبه توقيعات الأئمة الفاطميين"، تحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت.

15- الْعَبْدَري، أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود: رحلة الْعَبْدَري، حقّقها وقدّم لها علي إبراهيم كردي، دمشق، دار سعد الدين، ط2، 2005م.

16- عماد الدين، إدريس: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار وفنون الآثار في ذكر النبي المصطفى ووصيّه الكرّار وآلهما الأطهار"، تحقيق محمد اليعلاوي بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1985م.

17- العَيّاشي، أبو سالم عبد الله بن محمد: الرحلة العَيّاشيّة 1661-1663م، حقّقها وقدّم لها سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، أبو ظبي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، 2006م.

18- القاضي النعمان: أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيّون: كتاب افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ط2، 1986م.

19- ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ : كتاب المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقي وإبراهيم شَبُّوح ومحمد اليعلاوي، بيروت، دار المنتظر، ط1، 1996م.

20- الْمَاوَرْدي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب: كتاب الأحكام السُّلْطانيّة والوِلايات الدّينيّة، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، الكويت، دار ابن قتيبة، ط1، 1989م.

21- مجهول، كاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب) نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، د.

22- المقريزي، تَقِيّ الدين أحمد بن علي: اتِّعاظ الحُنَفَا بأخبار الأئمة الفاطميين الخُلَفَا، تحقيق جمال الدين الشَّيَّال، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط2، 1996م.

23- النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق نجيب مصطفى فوّاز وحكمت كشلي فوّاز، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2004م.

24- الْوَنْشَريسي، أبو الْعَبّاس أحمد بن يحيى: الْمِعْيَار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقيّة والأندلس والْمَغْرب، خَرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حَجّي، الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية، 1981م.

25- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله: معجم البلدان، بيروت، دار صادر، 1977م.

26- ابن حمّادي، عمر: بعض المنعرجات الهامّة في أوضاع الملكيات الزراعيّة في إفريقيّة في فترة تاريخها الوسيط، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق، العددان 43-44، كانون الأول 1992م.

27- أبو مصطفى، كمال: جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1997م.

28- أحمد، حسن خضيري: علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب (362-567هـ/973-1171م)، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط1، د. ت.

29- الأحمر، رمضان محمد رمضان: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليمي طرابلس الغرب وبرقة خلال العصر الفاطمي (297-443هـ)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كوالا لمبور، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا، 2019م.

30- إدريس، الهادي روجي: الدولة الصنهاجية (تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م)، نقله إلى العربية حَمّادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1992م.

31- البرغوثي، عبد اللطيف محمود: تاريخ ليبيا الإسلامي من الفتح الإسلامي حتّى بداية العصر العثماني، بيروت، دار صادر، 1973م.

32- بولبيض، عبد الْفَتّاح رجب حمد: تاريخ برقة الإسلامي في الفترة من القرن الخامس حتّى الربع الأول من القرن العاشر الهجري من 400-925هـ، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ط1، 2009م.

33- حامد، سعيد علي: تاريخ ومعالم الحضارة والعمران في ليبيا، بحث منشور ضمن كتاب معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا، القاهرة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ط1، 2008م.

34- حسن، حسن إبراهيم وطه أحمد شرف: المعز لدين الله، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1963م.

35- خماش، نجدة: الضّريبة الإسلاميّة وأهميتها في صدر الإسلام، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق، العددان 43-44، كانون الأول 1992م.

36- الدشراوي، فرحات: الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365هـ/909-975م) التاريخ السياسي والمؤسسات، نقله إلى العربية حَمّادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1994م.
37- رمضان، عاطف منصور محمد: موسوعة النقود في العالم الإسلامي، الجزء الأول، نقود الخلافة الإسلامية (عصر الخلفاء الراشدين- الخلافة الأُموية- الخلافة العبّاسيّة- الخلافة الفاطميّة- الخلافة الأُمويّة الأندلسيّة)، القاهرة، دار القاهرة، ط1، 2004م.
38- الرّيّس، محمد ضياء الدّين: الخَرَاج والنُّظُم الماليّة للدولة الإسلامية، القاهرة، دار المعارف، ط3، 1969م.
39- الزّاوي، الطّاهر أحمد: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، بيروت، دار المدار الإسلامي، ط4، 2004م.
40- ــــــــــــــ: معجم البلدان الليبية، طرابلس، مكتبة النور، ط1، 1968م.
41- سَيّد، أيمن فؤاد: عرض لكتاب مجتمع البحر المتوسط لجويتين، مجلة المؤرخ المصري، القاهرة، كلية الآداب بجامعة القاهرة، العدد الأول، يناير 1988م.
42- الطنطاوي، وليد علي محمد السيّد: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في برقة وطرابلس منذ منتصف القرن السادس الهجري وحتّى منتصف القرن الثامن الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، الفَيّوم، كلية دار العلوم، جامعة الفَيّوم، 2008م.
43- الطيف، علي حامد خليفة: المراكز التّجاريّة الليبيّة وعلاقتها مع ممالك السّودان الأوسط وأثرها على الحياة الاجتماعيّة خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريّين/ الرابع عشر والخامس عشر الهجريّين، طرابلس، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، 2003م.
44- عبّاس، إحسان: تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتّى مطلع القرن التاسع الهجري، بنغازي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، ط1، 1967م.
45- عبد الحميد، سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1990م.
46- عبد الوهاب، حسن حسني: وَرَقات عن الحضارة العربيّة بإفريقيّة التّونسيّة، تونس، مكتبة المنار، 1965م.
47- عمارة، محمد: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، بيروت-القاهرة، دار الشروق، ط1، 1993م.
48- كَحّالة، عمر رضا: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط8، 1997م.
49- مارسيه، جورج: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمه عن الفرنسية محمود عبد الصمد هيكل وراجعه واستخرج نصوصه مصطفى أبو ضيف أحمد، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1991م.
50- مِتز، آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النّهضة في الإسلام، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة، بيروت، دار الكتاب العربي، ط5، د. ت.
51- مجاني، بوبة: أثر الضّرائب في ثوابت ومُتَغيّرات سياسة الخلافة الفاطميّة في مرحلتها المغْربية، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق، العددان 67-68، كانون الثاني 1999م.

52- محمد، قطب إبراهيم: النُّظُم الْمَاليّة في الإسلام، القاهرة، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ط4، 1996م.

المراجع الأجنبية

1- Anwar, Sherif and Jere. L. Bacharach (2014), Shi'ism and the Early Dinars of the Fāṭimid Imam-caliph al-Mu'izz li-dīn Allāh (341–365/952–975): An Analytic , Al-Masāq "*Journal of the Medieval Mediterranean*", Volume 22, Issue 3.

2- Alahmar, Ramdan M Ramdan and Ahmed Faisal bin Abdul Hamid: *"The Revolution of Abu Rakwah Against the Fatimids In Barca And His Attempt to Overthrow Their Rule in Egypt"*, JOURNAL AL-MUQADDIMAH, Department of Islamic History and Civilisation in Malaya University, Volume 5, Issue 1, June, 2017,pp 20-38.

3- Alahmar, Ramdan M Ramdan and Ahmed Faisal bin Abdul Hamid: *"Qiam Aldawlat Alfatimiat fi Biladay Almaghrib Al'iislamii Wamisr (Shmali 'Afriqia) Mundh Sanat 297 AH/909AM 'iilaa Sanat 358AH/969AM*", JOURNAL AL-MUQADDIMAH, Department of Islamic History and Civilisation in Malaya University, Volume 4, 2015, December, 2015.

4- Goitein, S. D: A Mediterranean Society: The Jewish Communities of the Arab World as Portrayed in the Documents of the Cairo Geniza, Vol. I: Economic Foundations, University of California Press, 1967.